لا إله إلا الله

أفضل وأعظم الحسنات التي تُذهب وتمحو السيئات



إعداد
بشير شبرو

دار الفرقان
للنشر والتوزيع

لا إله إلا الله

أفضل وأعظم الحسنات
التي تُذهب وتمحو السيئات

دار الفرقان للنشر والتوزيع -١٤٤١/٢٠٢٠
ردمك : ١-٢٢-٦١٦-٩٩٣١-٩٧٨
الإيداع القانوني: السداسي الأول، ٢٠٢٠

Dar Al-furquan Edition. 2020
ISBN: 978-9931-616-22-1
Dépôt Légal: 1er semestre. 2020

ISBN 978-9931-616-22-1
9 789931 616221

الطبعة الأولى
١٤٤١ هـ — ٢٠٢٠ م

دار الفرقان للنشر والتوزيع

جوال: ١٠ ٥٨ ٩٦ ٥٥٦ (٠) ٢١٣ ٠٠
dar.alfurquan@gmail.com

لا إله إلا الله

أفضل وأعظم الحسنات
التي تُذهب وتمحو السيئات

إعداد

بشير شبرو

دار الفرقان للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب: ٧٠- ٧١].

أمّا بعد: فإن أصدق الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

فهذه رسالة في الكلام عن فضل وعظمة تحقيق التوحيد، وعن أثر التوحيد في محو الذنب وإزالة أثره، وهذا مقرّر ومعروف عند كل مسلم موحّد، لكن الذي يغيب ويغفل عنه الكثير والكثير هو أثر الذنب على التوحيد وإضعافه له وعلى الإخلاص، كذلك أثر الذنب وإضعافه للصدق واليقين، وهذا ما قرّره وبيّنه علماء وأئمة الإسلام، كما سيأتي إيضاحه وتجليته في هذه الرسالة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (.. لكنه أتى بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته ..) ص٣٥ من هذه الرسالة.

كذلك قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (.. لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين ..) ص٣٧.

وقال العلاّمة الإمام الربّاني ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (وربما أجرى (الشيطان) على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق، وهي قوله: لا يضر مع التوحيد ذنب ..) ص٣٨.

نسأل أن يجعلنا ممن حقّق التّوحيد علماً وعملاً في الحياة وعند الممات ..

لا إله إلا اللّه أعظم الحسنات وأعلى شعب الإيمان

عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: (قلت: يا رسول الله، أوصني، قال: **إِذَا عَمِلتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعها حَسَنَةً تَمحُهَا**. قال: قلت: يا رسول الله، أمن الحسنات: لَا إِلَـهَ إِلَّا اللهُ؟ قال: **هِيَ أَفْضَلُ الْحَسَنَاتِ**)(١).

▪ (**لا إله إلا الله**): أعظم الحسنات، وأعلى شعب الإيمان، كما قال النبي ﷺ: (**الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ أَوْ**

(١) رواه الإمام أحمد وغيره (صحيح الترغيب والترهيب ٣١٦٢، السلسلة الصحيحة ٣/ ٣٦١).

بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنْ الطَّرِيقِ وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الْإِيمَانِ). رواه البخاري، ومسلم واللفظ له، من حديث أبي هريرة.

وروى مسلم في صحيحه عن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله ﷺ: (يَقُولُ اللهُ ﷻ: وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: (قال موسى عليه السلام: يا رب علمني شيئا أذكرك به وأدعوك به، قال: يا موسى قل: لا إله إلا الله قال: يا رب كل عبادك يقول هذا، قال: قل لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت رب إنما أريد شيئا تخصني به، قال: يا موسى لو كان السموات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا

الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله)[1]. وهذا يدل على فضل هذه الكلمة العظيمة.

▪ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فضائلُ هذهِ الكلمةِ وحقائِقُهَا وموقِعُها من الدِّينِ فوقَ مَا يصفُهُ الواصِفُونَ ويعرِفُهُ العارفُونَ؛ وهِيَ حَقِيقَةُ الأَمرِ كُلِّهِ؛ كما قالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]). (مجموع الفتاوى ٢/ ٢٥٦).

▪ قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وهي

---

(١) رواه ابن حبان، والحاكم واللفظ له، وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الحافظ في "الفتح"(١١/ ٢٠٨): أخرجه النسائي بسند صحيح. بينما ضعفه الألباني في (ضعيف الترغيب ٩٢٣).

الكلمة التي قامت بها الأرض والسّماوات، وفطر الله عليها جميع المخلوقات، وعليها أُسِّست المِلّة، وجرّدت سيوف الجهاد، وهي محض حقّ الله على جميع العباد، وهي الكلمة العاصمة للدّم والأموال والذّرية في هذه الدار، والمنجية من عذاب القبر وعذاب النّار، وهي المنشور الذي لا يدخل أحد الجنّة إلاّ به، والحبل الذي لا يصل إلى الله من لم يتعلّق بسببه، وهي كلمة الإسلام، ومفتاح دار السّلام، وبها انقسم النّاس إلى شقيّ وسعيد، ومقبول وطريد، وبها انفصلت دار الكفر عن دار الإيمان، وتميّزت دار النّعيم من دار الشّقاء والهوان، وهي العمود الحامل للفرض والسنّة، ومن كان آخره لا إله إلا الله دخل الجنة". (الجواب الكافي ١٩٦).

فضائلُ وخصائصُ وثمارُ التوحيد من أقوال الإمام العلاّمة الربّاني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ

روحُ كلمة التوحيد وسرُّها

▪ قال العلاّمة الإمام الربّاني ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الربّ - جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، وتبارك اسمه، وتعالى جده، ولا إله غيره - بالمحبة والإجلال والتعظيم، والخوف والرجاء، وتوابع ذلك من التوكل والإنابة، والرغبة والرهبة، فلا يحب سواه، وكل ما يحب غيره فإنما يحب تبعا لمحبته، وكونه وسيلة إلى زيادة محبته، ولا يخاف سواه، ولا يرجي سواه، ولا

يتوكل إلا عليه، ولا يرغب إلا إليه، ولا يرهب إلا منه، ولا يحلف إلا باسمه، ولا ينذر إلا له، ولا يتاب إلا إليه، ولا يسجد إلا له، ولا يذبح إلا له وباسمه، ويجتمع ذلك في حرف واحد، وهو: أن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة، فهذا هو تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله؛ ولهذا حرم الله على النار من شهد أن لا إله إلا الله حقيقة الشهادة، ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣﴾ [المعارج: ٣٣]". "الداء والدواء" (ص١٩٨).

التوحيد أول واجب وآخر واجب وأول الأمر وآخره

▪ قال العلاّمة الإمام الربّاني ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (فالتوحيد أوَّل ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا كما قال النبي ﷺ: «**من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة**»(١) فهو أوَّل واجب وآخر واجب، فالتوحيد أوَّل الأمر وآخره).

(التوحيد أوَّل دعوة الرسل، وأوَّل منازل الطريق، وأوَّل مقام يقوم فيه السّالك إلى الله تعالى). "مدارج السالكين" (٣/ ص٤٤٣).

---

(١) صحيح: رواه أحمد وأبو داود (الإرواء: ٦٨٧).

حاجة العبد إلى التوحيد أعظم من حاجة الجسد إلى روحه والعين إلى نورها

▪ قال العلاّمة الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فاعلم أن حاجة العبد إلى أن يعبد الله وحده، لا يشرك به شيئا في محبته، ولا في خوفه، ولا في رجائه، ولا في التوكل عليه، ولا في العمل له، ولا في الحلف به، ولا في النذر له، ولا في الخضوع له، ولا في التذلل والتعظيم والسجود والتقرب أعظم من حاجة الجسد إلى روحه، والعين إلى نورها، بل ليس لهذه الحاجة نظير تقاس به. فإن حقيقة العبد روحه وقلبه، ولا صلاح لها إلاّ بإلـٰهها الذي لا إلـٰه إلا هو". "طريق الهجرتين" (ص ٩٩).

التَّوْحِيد مفزع أعدائه وأوليائه

▪ قال العلاّمة الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "التّوحيد مفزع أعدائه وأوليائه، فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ٦٥﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وأما أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدها؛ ولذلك فزع إليه يونس فنجاه الله من تلك الظلمات وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا وما أعد لهم في الآخرة، ولما فزع إليه فرعون عند معاينة الهلاك وإدراك الغرق له لم ينفعه لأن الإيمان عند المعاينة لا يقبل، هذه سنة الله في عباده".

(الفوائد ص٥٣).

التوحيد مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها

- قال العلاّمة الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فما دفعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد، ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلاّ فرّج الله كربه بالتوحيد، فلا يُلقي في الكُرب العظام إلا الشرك، ولا يُنجي منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها". ("الفوائد" ص (٦٦)).

توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله سبب كل صلاح في العالم

▪ قال العلاّمة الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعة رسوله، وكل شر في العالم وفتنة وبلا وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله، ومن تدبر هذا حق التدبر، وتأمل أحوال العالم منذ قام إلى الآن وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، وجد هذا الأمر كذلك في خاصة نفسه وفي حق غيره عموما وخصوصا، ولا قوة إلى بالله العلي العظيم". "بدائع الفوائد" (٣/ ٥٢٥-٥٢٦).

أعظم أسباب شرح الصّدر التوحيد وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه

▪ قال العلاّمة الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فأعظم أسباب شرح الصدر: التوحيد، وعلى حسب كماله، وقوته، وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه.

قال الله تعالى: ﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ﴾ وقال تعالى: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾. فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضّلال من أعظم أسباب ضيق الصّدر وانحراجِه". "زاد المعاد" (٢/٤١).

القرآن كلّه في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشّرك وأهله وجزائهم

▪ قال العلاّمة الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "كل آية في القرآن فهي متضمنة للتوحيد شاهدة به داعية إليه، فإن القرآن:

▪ إمَّا خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله فهو التوحيد العلمي الخبري.

▪ وإمَّا دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له وخلع كل ما يعبد من دونه فهو التوحيد الإرادي الطلبي.

▪ وإمَّا أمر ونهي وإلزام بطاعته في نهيه وأمره فهي حقوق التوحيد ومكملاته.

▪ وإمَّا خبر عن كرامة الله لأهل توحيده وطاعته وما فعل

بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزاء توحيده.

▪ وإمَّا خبر عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النكال وما يحل بهم في العقبى من العذاب فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم". ("مدارج السالكين" (٣/ ٤٥٠)).

الإخلاص والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال وثمرها طيب الحياة في الدّنيا والنعيم المقيم في الآخرة

▪ قال العلاّمة الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "والإخلاص والتوحيد شجرة في القلب فروعها الأعمال وثمرها طيب الحياة في الدنيا والنعيم المقيم في الآخرة. وكما أن ثمار الجنة لا مقطوعة ولا ممنوعة، فثمرة التوحيد والإخلاص في الدنيا كذلك. والشرك والكذب والرياء شجرة في القلب، ثمرها في الدنيا الخوف والهم والغم وضيق الصدر وظلمة القلب، وثمرها في الآخرة الزقّوم والعذاب المقيم". "الفوائد" (ص ١٦٤).

سرٌّ عظيمٌ من أسرار التوحيد

▪ قال العلاّمة الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "سر عظيم من أسرار التوحيد، وهو أنّ القلب لا يستقر ولا يطمئن ويسكن إلا بالوصول إليه، وكل ما سواه مما يحب ويراد فمراد لغيره، وليس المراد المحبوب لذاته إلا واحدا إليه المنتهى، ويستحيل أن يكون المنتهى إلى اثنين كما يستحيل أن يكون ابتداء المخلوقات من اثنين، فمن كان انتهاء محبته ورغبته وإرادته وطاعته إلى غيره بطل عليه ذلك، وزال عنه وفارقه أحوج ما كان إليه، ومن كان انتهاء محبته ورغبته ورهبته وطلبه هو سبحانه ظفر بنعمه ولذته وبهجته وسعادته أبد الآباد". "الفوائد" (ص ٢٠٢).

التوحيد مفتاح باب الجنة ومن لا يملك المفتاح لا ولن يفتح له الباب أبدا

▪ قال العلاّمة الإمام ابن القيّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "ولمّا كان الشرك أعظم الدواوين الثلاثة عند الله عَزَّوَجَلَّ حرّم الجنة على أهله، فلا تدخل الجنة نفس مشركة، وإنما يدخلها أهل التوحيد فإن التوحيد هو مفتاح بابها، فمن لم يكن معه مفتاح لم يُفتح له بابها، وكذلك إن أتى بمفتاح لا أسنان له لم يمكن الفتح به". "الوابل الصيّب" (ص ٤١).

عِظم أثر تحقيق كلمة التوحيد في محو وإزالة أثر الذنوب

■ قال العلامة الرباني ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اجتهدوا في تحقيق التوحيد، فإنه لا يوصل إلى الله سواه، واحرصوا على القيام بحقوقه، فإنه لا ينجي من عذاب الله إلا إياه". (كلمة الإخلاص ٥٤).

■ قال الإمام العلامة الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

"فالذنوب تزول آثارها:

- بالتوبة النصوح،
- والتوحيد الخالص،
- والحسنات الماحية،

- والمصائب المكفرة لها،
- وشفاعة الشافعين في الموحدين،
- وآخر ذلك إذا عذب بما يبقى عليه منها أخرجه توحيده من النار". "هداية الحيارى" (ص ١٣٠).

- قال العلامة الإمام ابن رجب رحمه الله: "فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه، وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرة ما سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار بالكلية. فمن تحقق بكلمة التوحيد قلبه، أخرجت منه كل ما سوى الله محبة وتعظيما وإجلالا ومهابة، وخشية، ورجاء وتوكلا، وحينئذ تحرق ذنوبه وخطاياه كلها ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبتها حسنات،.. **فإن هذا**

التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا لقلبها حسنات". "جامع العلوم والحكم" (٢/ ٤١٧).

ولا شك أن القائلين لهذه الكلمة العظيمة متفاوتون في مراتبهم بحسب ما يقوم بقلوبهم من معانيها.

▪ قال الإمام العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: "وكلما كان توحيد العبد أعظم، كانت مغفرة الله له أتم، فمن لقيه لا يشرك به شيئا البتة غفر له ذنوبه كلها، كائنة ما كانت، ولم يعذب بها.

ولسنا نقول: إنه لا يدخل النار أحد من أهل التوحيد، بل كثير منهم يدخل بذنوبه، ويعذب على مقدار جرمه، ثم يخرج منها، ولا تنافي بين الأمرين لمن أحاط علما بما قدمناه.

ونزيد هاهنا إيضاحا لعظم هذا المقام من شدة الحاجة إليه: اعلم أن أشعة لا إله إلا الله تبدد من ضباب الذنوب وغيومها بقدر قوة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوت أهلها في ذلك النور - قوة، وضعفا - لا يحصيه إلا الله تعالى.. وكلما عظم نور هذه الكلمة واشتد أحرق من الشبهات والشهوات بحسب قوته وشدته، حتى إنه ربما وصل إلى حال لا يصادف معها شبهة ولا شهوة، ولا ذنبا، إلا أحرقه، وهذا حال الصادق في توحيده، الذي لم يشرك بالله شيئا". "مدارج السالكين" (١/ ٣٣٨).

أصناف وأقسام أهل التوحيد

▪ قال العلامة المتفنن صالح آل الشيخ - حفظه الله -:

وأهل التوحيد أصناف: منهم من حقق التوحيد، ومنهم من خلط مع التوحيد عملًا صالحًا، وآخر سيئًا، ومنهم من جاء بالتوحيد ومعه ذنوب كثيرة جدًّا.

▪ **أما الأول**: فمن حقق التوحيد، دخل الجنة من غير حساب، ولا عذاب، وتحقيق التوحيد معناه تكميله، بأن يكون إخلاصه لربه، وخوفه منه، ورجاؤه فيه، فلا يكون فيه نقص بوجه من الوجوه.

ومعنى تحقيق التوحيد: أن يكون متخلصًا وخالصًا من الشرك الأكبر والأصغر، ووسائل الشرك الأكبر والأصغر،

ومن البدع: صغيرها وكبيرها، ومن المعاصي والذنوب: الكبائر والصغائر، فهذا التوحيد فضله عليه أن يدخل الجنة بلا حساب، ولا عذاب.

وهؤلاء الذين يدخلون الجنة، بلا حساب ولا عذاب، عددُهم سبعون ألفًا بنص الحديث[١]، وهذا بمنّة وكرم من الله جَلَّ وَعَلَا ومع كل ألف سبعون ألفًا، وهذا ميدان يتنافس فيه المتنافسون، فأعظم به أثرا وفضلا، في الدنيا والآخرة.

- **أما القسم الثاني** من الناس: فهم الذين عملوا

---

(١) يعني به قول النبي ﷺ: «يَدْخُلُ الجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي سَبْعُونَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ: هُمُ الَّذِينَ لَا يَسْتَرْقُونَ، وَلاَ يَتَطَيَّرُونَ، وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٥، رقم ٦١٠٧)، ومسلم (١/ ١٩٨، رقم ٢١٨).

بالتوحيد، فشهدوا شهادة التوحيد، وآمنوا، واعتقدوا الاعتقاد الحق في الله جَلَّ وَعَلَا بتوحيده في إلاهيته وربوبيته، وفي أسمائه وصفاته، فعبدوه وحده لا شريك له، وتخلصوا من الشرك، امتثالًا لقوله: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]، ولكنهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، ففضل التوحيد على هؤلاء أنهم إن تابوا تاب الله عليهم، وإن لقُوا الله جَلَّ وَعَلَا بكبائرَ بغير توبة، فإنه يَغفر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ذلك لمن يشاء، يعني بدون محاسبة لهم.

ومنهم من يكون عمله السيئ في الميزان، فيرجح التوحيد بأعماله السيئة، فضلًا من الله جَلَّ وَعَلَا وتكرمًا.

- **وأما الصنف الثالث:** فهؤلاء الذين أتوا بالتوحيد، وقوي إخلاصهم، وقوي توحيدهم، وقويت حميتهم

لتوحيد الله، وبراءتهم من الشرك، وبغضهم للشرك والكفر، ولأهل الشرك والكفران، وكفرهم بالطاغوت، وهو كراهيتهم لعبادة غير الله، وبغضهم للشرك بالله جَلَّ وَعَلَا وللكفر بأنواعه، عظم ذلك عندهم، ولكن كثُرت سيئاتهم وذنوبهم.

فهؤلاء مثلهم مثل الرجل الذي يؤتى به يوم القيامة، كما ثبت في حديث البطاقة، حيث قال النبي ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ،**

فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُر وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ. فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. قَالَ: فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ، وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللهِ شَيْءٌ»(١).

يعني من قوة رجحانها، رجحت بقوة، فاندفعت الكفة الأخرى، فطاشت السجلات وتناثرت، من ثِقَل هذه البطاقة، التي كُتِب فيها "لا إله إلا الله، محمد رسول الله"، لكن هل هذا الفضل لكل من قال: لا إله إلا الله محمد

---

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٢١٣، رقم ٦٩٩٤)، والترمذي (٥/ ٢٤، رقم ٢٦٣٩) وقال: حسن غريب. وابن ماجه (٢/ ١٤٣٧ رقم ٤٣٠٠). وصححه الألباني في المشكاة ٥٥٥٩.

رسول الله؟ لو كان الأمر كذلك، لما دخل النار أحد من أهل التوحيد، والله جَلَّ وَعَلَا قد توعّد أهل التوحيد، من أهل الكبائر والذنوب، بأنهم يُدْخلون النار، فيُنَقَّون فيها، ثم مصيرهم بعد ذلك إلى الجنة.

لكن هذه حالة خاصة لمن كان التوحيد في قلبه عظيمًا، وحبه لله جَلَّ وَعَلَا ولرسوله ﷺ وإخلاصه لله، بأنه مؤمن بتوحيد الله: بربوبيته وإلاهيته وأسمائه وصفاته، فلا يعبد إلا الله وحده، ولا يشرك بالله جَلَّ وَعَلَا شيئًا، وأنه يحب التوحيد، ويحب أهله، ويبغض الشرك، ويبغض أهله، فتكون هذه البطاقة قد ميَّزته عن سائر الأمة، فطاشت سجلات السيئات، بسبب عِظَم التوحيد، وعِظَم شأنه.

والتوحيد إذا عظم في القلب، فإنه لا يكاد يكون معه

إقدام على سيئة، أو إصرار على كبيرة من كبائر الذنوب، فتكون حالة خاصة لعبد يخرج من بين الخلائق، أو لمن هو مثله، ممن كثرت سيئاته، لكن عَظُم توحيدُه، وإخلاصُه لله جَلَّ وَعَلَا وهذا يُرَغَّب فيه كل أحد، ويَرْغَب فيه كل أحد منا، ممن لا يأمن على نفسه المعصية والذنب، وممن يغشى الذنوب، أو تقِلّ عنده الحسنات.

وكلما ازداد علم العبد بربه، كلما عَلِم أنه محتاج لما يخلّصه من الذنوب والآثام، ومن قلة الامتثال للواجبات، وأعظم ذلك هو الإخلاص، وتوحيد الله جَلَّ وَعَلَا علمًا وعملًا وانقيادًا...»[1]

(١) http://salehalshaik.com/2wp/p?=743

عِظَمُ نور كلمة التوحيد وصدق التوجُّه إلى اللّه بالكلّيَّة سبب في حرق الذُّنوب

▪ قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "اعلم أنَّ أشعَّة "لا إله إلاَّ الله" تبدِّد من ضباب الذنوب وغيومها بقدْر قوَّة ذلك الشعاع وضعفه، فلها نور، وتفاوُت أهلها في ذلك النور قوَّة وضعفًا لا يُحصيه إلاَّ الله تعالى؛

- فمن النَّاس مَن نُور هذه الكلمة في قلبه كالشَّمس،
- ومنهم مَن نُورها في قلبه كالكوْكب الدريِّ،
- ومنهم مَن نورها في قلبه كالمشْعل العظيم.

وكلَّما عظم نُور هذه الكلمة واشتدَّ، أَحْرق من الشُّبهات والشَّهوات بحسب قوَّته وشدَّته، حتَّى إنَّه ربَّما

وصل إلى حال لا يُصادف معها شبهة ولا شهوة ولا ذنبًا إلاَّ أحرقه، وهذا حال الصَّادق في توحيده الَّذي لم يشرك بالله شيئًا، فأي ذنبٍ أو شهوةٍ أو شبهةٍ دنت من هذا النور أحْرقها، فسماء إيمانه قد حُرِسَت بالنجوم من كل سارقٍ لحسناته، فلا ينال منها السَّارق إلاَّ على غِرَّة وغفلة لا بدَّ منها للبشر، فإذا استيقظ وعلم ما سُرِق منه، استنقَذَه من سارقه، أو حصَّل أضعافه بكسْبِه، فهو هكذا أبدًا مع لصوص الجنِّ والإنس، ليس كمَن فتح لهم خزانتَه، وولَّى الباب ظهْره.

وليس التَّوحيد مجرَّد إقرار العبد بأنَّه لا خالق إلاَّ الله، وأنَّ الله ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، كما كان عبَّاد الأصنام مقرِّين بذلك وهم مشركون، بل التَّوحيد يتضمَّن من محبَّة

الله، والخضــوع لــه، والــذُّلّ، وكمــال الانقِيــاد لطاعتــه، وإخلاص العبادة له، وإرادة وجهه الأعْلى بجميع الأقوال والأعمال، والمنْع والعطاء، والحب والبغض - ما يَحول بين صاحبِه وبين الأسباب الدَّاعية إلى المعاصي والإصرار عليْها، ومَن عرف هذا، عرف قول النَّبيِّ ﷺ: (**إنَّ الله حرَّم على النَّار مَن قال: لا إله إلا الله، يبتغي بذلك وجْه الله**)، وقوله: (**لا يدخُل النَّار مَن قال: لا إله إلا الله**)، وما جاء من هذا الضرب من الأحاديث التي أَشْكلتْ على كثيرٍ من النَّاس، حتَّى ظنَّها بعضُهم منسوخةً، وظنَّها بعضُهم قيلت قبل وُرود الأوامر والنَّواهي واستِقْرار الشَّرع، وحملها بعضُهم على نار المشركين والكفَّار، وأوَّل بعضهم الدُّخول بالخلود، وقال: المعنى: لا يدخلها خالدًا، ونحو

ذلك من التَّأويلات المستكْرَهة.

والشَّارع - صلوات الله وسلامه عليه - لَم يجعل ذلك حاصلاً بمجرَّد قول اللسان فقط، فإن هذا خلاف المعلوم بالاضطِرار من دين الإسلام؛ فإنَّ المنافقين يقولونَها بألسنتِهم، وهم تحْت الجاحدين لها في الدَّرك الأسفل من النَّار، فلا بدَّ من قوْل القلب وقول اللسان.

وقول القلب: يتضمَّن من معرفتها، والتَّصديق بها، ومعرفة حقيقة ما تضمَّنَتْه، من النفي والإثبات، ومعرفة حقيقة الإلهيَّة المنفيَّة عن غير الله المختصَّة به، الَّتي يستحيل ثبوتُها لغيره، وقيام هذا المعنى بالقلْب: علمًا ومعرفةً ويقينًا وحالاً - ما يوجب تحريم قائلها على النَّار، وكلُّ قولٍ رتَّب الشَّارع ما رتَّب عليه من الثَّواب، فإنَّما هو

القـول التَّـام؛ كقولِـه: (**مَـن قـال في يـوم: "سـبحان الله وبحمْده" مائةَ مرَّة، حطَّت عنه خطايـاه، أو غُفِرَت ذنوبـه، ولو كانت مثل زبـد البحـر**)، ولـيس هـذا مرتَّبًا علـى مجرَّد قول اللسان.

وتأمل حديث البطاقة التي تُوضع في كِفَّة، ويقابلها تسعة وتسعون سجلاًّ، كلُّ سجلٍّ منها مـدَّ البصَـر، فتثقـل البطاقـة وتطـيش السـجلات فـلا يعـذَّب، ومعلـومٌ أنَّ كـلَّ موحِّـد لـه مثل هـذه البطاقـة، وكثيرٌ مـنهُم يـدخل النَّـار بذنوبـه، ولكـن السّـر الَّـذي ثقَّـل بطاقـة ذلـك الرَّجُـل، وطاشـت لأجلـه السـجلات، لمَّـا لـم يحصُـل لغيـره مـن أرْبـاب البطاقـات، انفردت بطاقته بالثِّقَل والرَّزانـة، وإذا أردتَ زيـادة الإيضـاح لِهذا المعنى، فانظُر إلى ذِكْرِ مَن قلبه مـلآن بمحبَّتـك، وذكْـر

مَن هو مُعْرِض عنك، غافل ساهٍ، مشغول بغيرِك، قد انجذبتْ دواعي قلبه إلى محبَّة غيرك وإيثاره عليك، هل يكون ذكرُهُما واحدًا؟! أم هل يكون ولداك اللَّذان هما بهذِه المثابة أو عبداك أو زوْجتاك عندك سواء؟!

وتأمَّل ما قام بقلب قاتل المائة من حقائقِ الإيمان، الَّتي لم تشغله عند السياق عن السَّير إلى القرْية، وحملَتْه وهو في تلك الحال على أن جعَل ينوء بصدْرِه ويُعالج سكرات الموت، فهذا أمرٌ آخَر وإيمان آخَر، ولا جَرم أنْ أُلْحِق بالقرية الصَّالحة، وجعل من أهلها.

وقريبٌ من هذا: ما قام بقلْب البغيّ الَّتي رأت ذلك الكلب وقد اشتدَّ به العطش، يأكُل الثَّرى، فقام بقلْبِها ذلك الوقتَ مع عدم الآلة وعدم المعين، وعدم مَن تُرائيه

بعملِها، ما حملها على أن غرَّرت بنفسِها في نزول البئر، وملْء الماء في خفِّها، ولم تعْبأ بتعرُّضها للتَّلَف، وحمْلِها خفَّها بفيها وهو ملآن، حتَّى أمْكنها الرقيُّ من البئر، ثمَّ تواضُعها لهذا المخلوق الذي جرتْ عادة النَّاس بضرْبِه، فأمسكت له الخفَّ بيدِها حتَّى شرب، من غير أن ترْجو منْه جزاءً ولا شكورًا، فأحرقت أنوارُ هذا القدْر من التَّوحيد ما تقدَّم منها من البغاء؛ فغفر لها.

فهكذا الأعمال والعمَّال عند الله، والغافل في غفْلة من هذا الإكسير الكيماوي، الَّذي إذا وضع منه مثْقال ذرَّة على قناطير من نُحاس الأعمال، قلَبَها ذهبًا، والله المستعان".

"مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين" (١/ ٢٧٨- ٢٨٢).

من عاش على تحقيق كلمة التوحيد والقيام بها عاش أطيب عيش وروحه تتقلب في جنة المأوى

▪ قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وروح هذه الكلمة وسرها: إفراد الرب جل ثناؤه وتقدست أسماؤه وتبارك اسمه وتعالى جده ولا إله غيره بالمحبة والإجلال والتعظيم والخوف والرجاء وتوابع ذلك: من التوكل والإنابة والرغبة والرهبة فلا يحب سواه وكل ما يحب غيره فإنما هو تبعا لمحبته وكونه وسيلة إلى زيادة محبته ولا يخاف سواه ولا يرجى سواه ولا يتوكل إلاّ عليه ولا يرغب إلاّ إليه ولا يرهب إلاّ منه ولا يحلف إلاّ باسمه ولا ينذر إلاّ له ولا يتاب إلاّ إليه ولا يطاع إلاّ أمره ولا

يحتسب إلاّ به ولا يستغاث في الشدائد إلاّ به ولا يلتجئ إلاّ إليه ولا يسجد إلاّ له ولا يذبح إلاّ له وباسمه يجتمع ذلك في حرف واحد وهو: إن لا يعبد إلا إياه بجميع أنواع العبادة هذا هو تحقيق شهادة إن لا إله إلاّ الله.

ولهذا حرّم الله على النار من شهد أنّ لا إله إلاّ الله حقيقة الشهادة ومحال أن يدخل النار من تحقق بحقيقة هذه الشهادة وقام بها كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ ٣٣﴾ [المعارج: ٣٣]، فيكون قائما بشهادته في ظاهره وباطنه في قلبه وقالبه فإنّ:

- من الناس من تكون شهادته ميتة،
- ومنهم من تكون نائمة إذا نبهت انتبهت،
- ومنهم من تكون مضطجعة،

- ومنهم من تكون إلى القيام أقرب،

وهي في القلب بمنزلة الروح في البدن:

- فروح ميتة،
- وروح مريضة إلى الموت أقرب،
- وروح إلى الحياة أقرب،
- وروح صحيحة قائمة بمصالح البدن،

وفي الحديث الصحيح عنه ﷺ: "**إني لأعلم كلمة لا يقولها عبد عند الموت إلاّ وجدت روحه لها روحا**".

فحياة هذه الروح بحياة هذه الكلمة فيها، كما أنّ حياة البدن بوجود الروح فيه، وكما أنّ من مات على هذه الكلمة فهو في الجنة يتقلب فيها، فمن عاش علي تحقيقها والقيام بها فروحه تتقلب في جنة المأوى وعيشها أطيب عيش، قال

تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ فالجنة مأواه يوم اللقاء.

وجنة المعرفة والمحبة والأنس بالله والشوق إلى لقائه والفرح به والرضا عنه وبه مأوى روحه في هذه الدار.

فمن كانت هذه الجنة مأواه هاهنا، كانت جنة الخلد مأواه يوم المعاد، ومن حُرم هذه الجنة فهو لتلك الجنة أشد حرمانا.

والأبرار في نعيم وإن اشتد بهم العيش وضاقت بهم الدنيا، والفجار في جحيم وإن اتسعت عليهم الدنيا قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ وطيب الحياة جنة الدنيا قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ

﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾.

فأي نعيم أطيب من شرح الصدر؟ وأي عذاب أضيق من ضيق الصدر؟

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس ٦٢-٦٤].

فالمؤمن المخلص لله من أطيب الناس عيشا، وأنعمهم بالا، وأشرحهم صدرا، وأسرهم قلبا، وهذه جنة عاجلة قبل الجنة الآجلة". (الداء والدواء ٢٨١).

القيود الثِقال لكلمة التوحيد

• الذنوب والمعاصي تؤثر على التوحيد والإخلاص بل تضعفهما

جاء في كتاب (فتح المجيد شرح كتاب التوحيد):

▪ قال شيخ الإسلام - وغيره - في هذا الحديث ونحوه:

أنها فيمن قالها ومات عليها، كما جاءت مقيدةً بقوله: خالصًا من قلبه غير شاك فيها بصدق ويقين.

فإن حقيقة التوحيد انجذابُ الروح إلى الله تعالى جملةً، فمن شهد أنّ لا إله إلاّ الله خالصًا من قلبه دخل الجنة؛ لأنَّ الإخلاص هو انجذابُ القلب إلى الله تعالى بأن

يتوبَ من الذنوب توبة نصوحا. فإذا مات على تلك الحال نال ذلك؛ فإنه:

▪ قد تواترت الأحاديثُ بأنه (**يخرجُ من النار من قال لا إله إلا الله، وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، وما يزن خردلة، وما يزن ذرة**).

▪ وتواترت بأنَّ كثيراً ممن يقول: لا إله إلا الله يدخل النار ثم يخرج منها.

▪ وتواترت بأن الله حرَّم على النار أن تأكل أثرَ السجود من ابن آدم؛ فهؤلاء كانوا يُصلون ويسجدون لله.

▪ وتواترت بأنه يُحرِّمُ على النار من قال: لا إله إلا الله، ومن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، ولكن جاءت مقيّدةً بالقيود الثِّقال.

وأكثرُ من يقولها لا يعرف الإخلاص!، وأكثر من يقولها إنَّما يقولها تقليداً أو عادةً، ولم تخالط حلاوة الإيمان بشاشة قلبه.

وغالبُ من يُفتنُ عند الموت وفي القبور أمثال هؤلاء؛ كما في الحديث: (**سمعت الناس يقولون شيئا فقلته**) وغالب أعمال هؤلاء إنما هي تقليد واقتداء بأمثالهم، وهم من أقرب الناس من قوله تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ٢٣﴾ [الزخرف ٢٣].

وحينئذ فلا مُنافاة بين الأحاديث، فإنه إذا قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مُصرًّاً على ذنب أصلا؛ فإنَّ كمالَ إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله أحب إليه من كل شيء، فلا يبقى في قلبه إرادة لما حرم الله، ولا

كراهة لما أمر الله.

وهذا هو الذي يَحرُم على النار وإن كانت له ذنوب قبل ذلك، فإنَّ هذا الإيمان وهذا الإخلاص، وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين، لا تترك له ذنبًا إلاّ محي عنه كما يمحو الليل النهار.

- فإذا قالها على وجه الكمال المانعِ من الشرك الأكبر والأصغر، فهذا غيرُ مصرٍّ على ذنب أصلا، فيُغفر له ويُحرَّم على النار.

- وإن قالها على وجه خلُص به من الشرك الأكبر دون الأصغر، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك، فهذه الحسنةُ لا يقاومها شيءٌ من السيئات فيرجح بها ميزان الحسنات، كما في حديث البطاقة فيحرم على النار، ولكن تنقص درجته في

الجنة بقدر ذنوبه.

وهذا بخلاف من رجحت سيئاتُه بحسناته، ومات مُصراً على ذلك، فإنه يستوجب النار وإن قال لا إله إلا الله وخلص بها من الشرك الأكبر لكنه لم يمت على ذلك، بل أتى بعدها بسيئات رجحت على حسنة توحيده، فإنه في حال قولها كان مخلصا لكنه أتى بذنوب أوهنت ذلك التوحيد والإخلاص فأضعفته، وقويت نار الذنوب حتى أحرقت ذلك. بخلاف المخلص المستيقن؛ فإن حسناته لا تكون إلا راجحة على سيئاته ولا يكون مصرّاً على سيئات، فإن مات على ذلك دخل الجنة.

وإنما يُخاف على المخلص أن يأتي بسيئة راجحة فيضعُف إيمانه فلا يقولها بإخلاص ويقين مانعٍ من جميع

السيئات، ويُخشى عليه من الشرك الأكبر والأصغر، فإن سَلِم من الأكبر بقي معه من الأصغر، فيُضيف إلى ذلك سيئاتٍ تنضمُّ إلى هذا الشرك فيرجح جانب السيئات، فإن السيئات تُضْعِفُ الإيمان واليقين، فيضعف قول: لا إله إلا الله، فيمتنع الإخلاص بالقلب، فيصير المتكلم بها كالهاذي أو النائم، أو من يُحسِّن صوته بآية من القرآن من غير ذوقِ طعمٍ وحلاوة. فهؤلاء لم يقولوها بكمال الصدق واليقين، بل يأتون بعدها بسيئات تنقُضُ ذلك، بل يقولونها من غير يقين وصدق ويموتون على ذلك، ولهم سيئاتٌ كثيرة تمنعهم من دخول الجنة.

فإذا كثُرت الذنوب ثقُل على اللسان قولُها، وقسا القلب عن قولها، وكره العمل الصالح، وثقُل عليه سماع القرآن،

واستبشر بذكر غير الله، واطمأنَّ إلى الباطل، واستحلى الرَّفث، ومخالطةَ أهل الغفلة، وكره مخالطة أهل الحق، فمثلُ هذا إذا قالها، قال بلسانه ما ليس في قلبه، وبفيه ما لا يصدقه عمله.

- قال الحسن البصري: "ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني، ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال. فمن قال خيراً وعمل خيراً قُبل منه، ومن قال خيراً وعمل شراً لم يُقبل منه".

- وقال بكر بن عبد الله المزني: "ما سبقهم أبو بكر بكثرة صيامٍ ولا صلاة ولكن بشيء وقر في قلبه".

فمن قال: لا إله إلا الله، ولم يقم بموجبها، بل اكتسب مع ذلك ذنوبا، وكان صادقا في قولها موقنا بها – لكن له

ذنوب أضعفت صدقه ويقينه - وانضاف إلى ذلك الشرك الأصغر العملي، فرجحت هذه السيئاتُ على هذه الحسنة، ومات مصرّاً على الذنوب، بخلاف من يقولها بيقين وصدق، فإنه إمّا أن لا يكون مصرّاً على سيئة أصلا، ويكون توحيده المتضمن لصدقه ويقينه رجَّح حسناته.

والذين يدخلون النار ممن يقولها: إمّا أنهم لم يقولوها بالصدق واليقين التامَّين المنافيين للسيئات، أو لرُجحانها، أو قالوها واكتسبوا بعد ذلك سيئاتٍ رجحت على حسناتهم، ثم ضعُف لذلك صدقهم ويقينهم، ثم لم يقولوها بعد ذلك بصدق ويقين تام؛ لأن الذنوب قد أضعفت ذلك الصدق واليقين من قلوبهم، فقولها من مثل هؤلاء لا يقوى على محو السيئات فترجح سيئاتهم على

حسناتهم. "انتهى ملخصا".

وقد ذكر هذا كثيرٌ من العلماء: كابن القيّم، وابن رجب، وغيرهم.

قلتُ: وبما قرَّره شيخ الإسلام تجتمع الأحاديث(١).

(١) "فتح المجيد شرح كتاب التوحيد" (ص٨٦- ٨٩) / (باب: فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب)، (الدرر السنية، سليمان بن سحمان، نقلا عن شيخ الإسلام ابن تيمية (ج٢ ص ٣٥٠-٣٥٥).

كلمةٌ طالما أهلك بها الشيطانُ الخلق

▪ قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وربما أجرى (الشيطان) على لسانه وأذنه كلمة طالما أهلك بها الخلق، وهي قوله: لا يضر مع التوحيد ذنب، كما لا ينفع مع الشرك حسنة.." "مدارج السالكين" (١/ ٢٣٨).

مُدمنُ الكبيرة والمُصِرّ على الصغيرة لا يمكن أن يصفو له التوحيد

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (قَالَ اللهُ تَعَالَى: يَا ابنَ آدَمَ إِنَّكَ مَا دَعَوتَنِي وَرَجَوتَنِي غَفَرتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ مِنكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابنَ آدَمَ لَو بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ استَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ، يَا ابنَ آدَمَ إِنَّكَ لَو أَتَيْتَنِي بِقِرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لقِيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغفِرَةً)(١).

هذا الحديث عظيم الشأن؛ لأنه دل على عِظَم شأن

(١) رواه الترمذي "صحيح الجامع" (٤٣٣٨).

التوحيد، وعظم الأجر الذي أعده الله للموحدين.

▪ قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "يُعفى لأهل التوحيد المحض الذي لم يشوبوه بالشرك ما لا يُعفى لمن ليس كذلك.

فلو لقي الموحِّد الذي لم يشرك بالله شيئًا البتة ربَّه بقُراب الأرض خطايا، أتاه بقُرابها مغفرة، ولا يحصل هذا لمن نقض توحيده وشابَهُ بالشرك؛ فإن التوحيد الخالص - الذي لا يشوبه شرك - لا يبقى معه ذنب، فإنه يتضمن من محبة الله تعالى وإجلاله، وتعظيمه، وخوفه، ورجائه، وحده ما يوجب غَسل الذنوب، ولو كانت قراب الأرض، فالنجاسة عارضة، والدافع لها قويّ، فلا تثبت معه، ولكن نجاسة الزنا واللّواطة أغلظ من غيرهما من النجاسات، من

جهة أنها تفسد القلب، وتضعف توحيده جدا، ولهذا أحظى الناس بهذه النجاسة أكثرهم شركًا، فكلما كان الشرك في العبد أغلب؛ كانت هذه النجاسة والخبائث فيه أكثر، وكلما كان أعظم إخلاصا؛ كان منها أبعد، كما قال تعالى عن يوسف الصديق عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤]".

(إغاثة اللهفان ١/ ١٣٢- ١٣٣).

- قال العلامة صالح آل الشيخ - حفظه الله-: يعني: لو جاء ابن آدم بملء الأرض خطايا ثم لقي الله - جل جلاله - مخلصًا له الدين لا يشرك به شيئًا لا جليل الشرك ولا صغيره ولا خفيه؛ بل قلبه مخلص لله عز وجل ليس فيه سوى عز وجل وليس فيه رغب إلا إلى الله عز وجل، وليس فيه رجاء

إلا رجاء الله عز وجل لا يشرك به شيئًا بأي نوع من أنواع الشرك؛ فإن الله – جل جلاله – يغفر الذنوب جميعًا قال سبحانه: **(ثُمَّ لقِيْتَنِي لاَ تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لأَتَيْتُكَ بِقرَابِهَا مَغفِرَةً)** يعني بملء الأرض مغفرة وهذا من عظيم رحمة الله – جل جلاله – بعباده وإحسانه لهم. "شرح الأربعين النووية" (ص٥٣٣ – ٥٣٧).

إذن فمن أسباب مغفرة الذنوب تحقيق التوحيد، وهو من أهم الأسباب وأعظمها، فمن فقدَه فقَدَ المغفرة، ومن جاء به فقَدْ أتى بأعظم أسباب المغفرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]، والتوحيد في الحقيقة ليس مجرد كلمة تنطق باللسان من غير فقه لمعناها، أو عمل بمقتضاها، إذاً لكان المنافقون

أسعد الناس بها، فقد كانوا يرددونها بألسنتهم صباح مساء ويشهدون الجمع والجماعات، ولكنه في الحقيقة استسلام وانقياد، وطاعة لله ولرسوله، وتعلق القلب بالله سبحانه محبة وتعظيما، وإجلالا ومهابة، وخشية ورجاء وتوكلا، كل ذلك من مقتضيات التوحيد ولوازمه، وهو الذي ينفع صاحبه يوم الدين.

- قال العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "... ينبغي أن يعلم ارتباط إيمان القلوب بأعمال الجوارح، وتعلقها بها، وإلا لم يفهم مراد الرسول ﷺ، ويقع الخلط والتخبيط.

فاعلم أن هذا النفي العام للشرك – **أن لا يشرك بالله شيئا البتة** – لا يصدر من مصر على معصية أبدا، ولا يمكن

مدمن الكبيرة والمصر على الصغيرة أن يصفو له التوحيد، حتى لا يشرك بالله شيئا، هذا من أعظم المحال، ولا يلتفت إلى جدلي لا حظ له من أعمال القلوب، بل قلبه كالحجر أو أقسى، يقول: وما المانع؟ وما وجه الإحالة؟ ولو فرض ذلك واقعا لم يلزم منه محال لذاته!.

فدع هذا القلب المفتون بجدله وجهله، واعلم أن الإصرار على المعصية يوجب من خوف القلب من غير الله، ورجائه لغير الله، وحبه لغير الله، وذله لغير الله، وتوكله على غير الله ما يصير به منغمسا في بحار الشرك، والحاكم في هذا ما يعلمه الإنسان من نفسه، إن كان له عقل، فإن ذل المعصية لا بد أن يقوم بالقلب فيورثه خوفا من غير الله، وذلك شرك، ويورثه محبة لغير الله، واستعانة بغيره في

الأسباب التي توصله إلى غرضه، فيكون عمله لا بالله ولا لله، وهذا حقيقة الشرك.

والمقصود أن من لم يشرك بالله شيئا يستحيل أن يلقى الله بقراب الأرض خطايا، مصرا عليها، غير تائب منها، مع كمال توحيده الذي هو غاية الحب والخضوع، والذل والخوف والرجاء للرب تعالى. "مدارج السالكين" (١/ ٣٣٦).

- قال بعض أهل العلم:

في هذا الحديث بيان عظيم فضل الله سبحانه وعظيم رحمته، وأنه سبحانه يغفر لمن مات على التوحيد، ولكن هذه المغفرة مقيدة بمشيئة الله جلا وعلا وقد دل على ذلك قوله سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ

﴿ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]، وعلى هذا فلا ينبغي أن يغتر أحد بهذا الحديث وأمثاله مما يبين فضل الله ورحمته، لا لأن الله قد يخلف وعده حاشاه من ذلك، ولا لأن رحمته تضيق عن شمول أهل المعاصي، ولكن لأمور:

- **أولها**: أن المغفرة في مثل هذه النصوص مقيدة بمشيئة الله – كما ذكرنا – فقد يشاء الله المغفرة، وقد يشاء العذاب.
- **ثانيها**: أن العبد لا يضمن لنفسه أن يموت على التوحيد فإن القلوب بيد الله يقلبها كيف يشاء، وقد يسلب العبد إيمانه في أي وقت، والإكثار من المعاصي من أسباب سلب الإيمان لأن المعاصي بريد الكفر، وقد جاء في الحديث: (**إنّ العبد إذا أخطأ خطيئة نكت في قلبه نكتة، فإن هو نزع واستغفر صقلت، فإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه،**

فذلك الران الذي ذكره الله - تعالى -: كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون)[١].

▪ **ثالثها**: أنّ هذا الحديث قد ذكر ثلاثة أسباب لمغفرة الذنوب، أولها: الدعاء والرجاء، وثانيها: الاستغفار، وثالثها: الموت على التوحيد، والدعاء والرجاء والاستغفار كلها أسباب مقدورة للعبد، بينما الموت على التوحيد ليس من مقدروه فكيف يترك الأسباب المقدورة اتكالاً على ما ليس بمقدور.

▪ جاء في مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح: قال ابن رجب في شرح الأربعين: قد تضمن حديث أنس هذا أنّ هذه الأسباب الثلاثة يحصل بها المغفرة **أحدها**: الدعاء

(١) رواه الترمذي. وقال: حديث حسن صحيح. وحسنه الألباني.

مع الرجاء، **والثاني**: الاستغفار ولو عظمت الذنوب وبلغت الكثرة عنان السماء، **والثالث**: التوحيد وهو السبب الأعظم فمن فقده فقد المغفرة، ومن جاء به فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨]. فمن جاء مع التوحيد بقراب الأرض خطايا لقيه الله بقرابها مغفرة، لكن هذا مع مشيئة الله ﷻ، فإن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة. انتهى.

والخلاصة أنه لا يغتر بهذا الحديث وأمثاله فيكثر من المعاصي إلا جاهل عاجز. والله أعلم. (موقع إسلام ويب).

النّصوص المطلقة في دخول الموحّدين الجنة كلّها مقيّدة بالنصوص الأخرى المقيّدة بالتوبة وعدم الإصرار

قال سماحة الإمام العلاّمة ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ يعني بشرك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢].

فمن أتى بالتوحيد وسلم من الشرك كله فإن له الأمن وله الهداية المطلقة. لما سمع الصحابة هذه الآية جاؤوا إلى النبي ﷺ وجثوا عنده على الركب وقالوا: يا رسول الله: نزلت هذه الآية ولا نطيقها، أينا لم يظلم، كل واحد منا خطاء، من يسلم من ظلم نفسه، فقال ﷺ: ليس هو الذي تعنون ليس هو ظلم المعاصي، إنما هو الشرك ألم تسمعوا

إلى القول العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣﴾ [لقمان: ١٣]، فمن أتى بالشرك بطل عمله وليس له أمن ولا هداية، الشرك الأكبر، أما من سلم من الشرك الأكبر والشرك الأصغر فإن له الأمن الكامل والهداية الكامل، فإن سلم من الشرك الأكبر ولكن عنده شيء من الشرك الأصغر أو المعاصي فإن عنده أصل الأمن وعنده أصل الهداية، لكن هدايته غير كاملة وأمن غير كامل، وهو على خطر من دخول النار بالمعاصي التي يموت عليها لكن معه أصل الأمن وأصل الهداية، فمن مات على التوحيد الخالص لله والإيمان برسوله ﷺ فمعه أصل الأمن ومعه أصل الهداية، لكنهما ليسا كاملين إلا بترك المعاصي، فمن ترك المعاصي وأنواع الظلم كله صار له الأمن الكامل والهداية

الكاملة، والظلم ثلاثة أنواع:

- الأول: ظلم الشرك وهو الظلم الأكبر.
- والثاني: ظلم النفس بالمعاصي.
- الثالث: ظلم العباد بالقتل أو بالضرب أو بالمال أو بالعرض.

هذه أنوع الظلم، فمن وقاه الله أنواع الظلم كلها صارت له الجنة لأول وهلة، ودخل الجنة من أول وهلة، وصار له الأمن الكامل والهداية الكاملة.

أما من مات على الظلم الأول وهو الشرك، فإنه من أهل النار ليس له الهداية ولا الأمن، أما من سلم من الظلم الأكبر ولكن مات على شيء من ظلم المعاصي أو ظلم الله فهو تحت مشيئة الله إن شاء الله غفر له، وأدى عنه الحقوق،

وإن شاء عذبه على قدر جرائمه التي مات عليها ثم بعد التطهير والتمحيص يخرجه الله من النار كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ ﴾ [النساء: ١١٦].

وقال الإمام العلاّمة ابن باز أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (قال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنِّى لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾ ﴾ [طه:٨٢] قيّده بالتوبة ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]، قيّد هذا بالذين ماتوا على التوبة من غير إصرار، أما من أصر على الذنوب ومات عليها فهو تحت

مشيئة الله فحديث عبادة وما جاء في معناه من الأحاديث المطلقة المقيدة للنصوص الأخرى، وهي نصوص التوبة والإقلاع والندم، أو إذا مات على توبة صادقة فإنه يدخل الجنة من أول وهلة.

وهكذا حديث أبي سعيد: (**إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**) فهو محرم على النار إذا قال لا إله إلا الله ولم يصر على السيئة مقيد بالنصوص الأخرى...

وفي هذا الباب حديث البطاقة وهو حديث صحيح، يقول فيه النبي ﷺ: (**إذا جاء يوم القيامة يؤتى برجل ينشر له تسعة وتسعون سجلاً فيها ذنوبه وسيئاته فيقال له: أتنكر من هذا شيئًا؟ فيهابها الرجل ويقول: لا، فيقول له: نعم إن**

لك عندنا حسنة، لا تجحد ولا تغبن ولا تظلم، ثم يؤتى ببطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فتوضع البطاقة في كفة، والتسعة والتسعون في كفة قال: فرجحت البطاقة فطاشت السجلات).

قال العلماء: معناه أنه قالها عن توبة وإخلاص وصدق فرجحت حسناته وتوحيده وإيمانه بالرسول بذنوبه وسيئاته لكونه قالها عند الموت تائبًا نادمًا، فصارت هذه البطاقة ترجح جميع السيئات؛ لأنها صارت عن إقرار صادق وتوبة صادقة فرجحت بجميع سيئاته.

وهكذا حديث أنس: (**يقول الله: لو أتيتني بقراب الأرض بخطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة**) يعني إذا بالتوحيد الخالص الذي ليس معه

سيئات؛ لأن طاعة الهوى نوع من الشرك الأصغر، فإذا لقي الله بالسلامة من الشرك كله ومن المعاصي لقيه الله بالمغفرة الكاملة وأدخله الله الجنة، أما إذا لقيه بالسلامة من الشرك، لكن عنده معاصي وعنده ذنوب فهو تحت مشيئة الله كما دلت عليه النصوص الأخرى من القرآن والسنة: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ ﴾ [طه:٨٢]، فهي تقيد مثل هذه النصوص، هذه النصوص عند العلماء مقيدة، إطلاقها مقيد بالتوبة الصادقة وعدم الإصرار على المعاصي، فإذا أتى العبد ربه بتوبة صادقة وتوحيد خالص ليس معه إصرار على الذنوب فإنه يدخل الجنة من أول وهلة، أما إن كان معه إصرار ومعه ذنوب لم يتب منها فهو تحت مشيئة الله، إن شاء الله عذبه على قدر معاصيه كما يجري لكثير من

العصاة ثم يخرجه الله من النار بتوحيده وإسلامه، وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة من أول وهلة لكونه مات على التوحيد والإيمان وعدم الظلم الأكبر.

ثم ختم العلاّمة الإمام الربّاني ابن باز كلامه بقوله: (**هذا مقام عظيم يغلط فيه كثير من الناس فينبغي أن يُعلم هذا الأمر على بصيرة، وأن هذه النصوص المطلقة في دخول الموحدين الجنة كلها مقيدة بالنصوص الأخرى التي فيها التقييد بالتوبة وعدم الإصرار على المعصية**. وفق الله الجميع). (الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز رَحِمَهُ اللَّهُ).

ضرورة ولزوم تحقيق الاستغفار مع تحقيق التوحيد

▪ من درر وجواهر شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: قوام الدين بالتوحيد والاستغفار. "التحفة العراقية" (ص٨٣).

وقوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "إذا حصل مع التوحيد الاستغفار حصل له غناه وسعادته وزال عنه ما يعذبه ولا حول ولا قوة إلا بالله". "مجموع الفتاوى" (١/ ٥٦).

▪ ومن درر ونفائس تلميذه العلامة الإمام الرباني ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله: "التوحيد يدخل العبد على الله والاستغفار والتوبة يرفع المانع، ويزيل الحجاب الذي يحجب القلب عن الوصول إليه، فإذا وصل القلب إليه:

زال عنه همّه وغمّه وحزنه". "شفاء العليل" (ص٢٧٤).

▪ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وأما من حقق التوحيد والاستغفار فلا بد أن يرفع عنه الشر؛ فلهذا قال ذو النون: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧]، ولهذا يقرن الله بين التوحيد والاستغفار في غير موضع. كقوله تعالى: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩] وقوله: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [هود: ٢-٣]، وقوله: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ﴾ إلى قوله: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [هود: ٥٠-٥١]، وقوله: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ [فصلت: ٦]. وخاتمة

المجلس: (**سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**) إن كان مجلس رحمة كانت كالطابع عليه، وإن كان مجلس لغو كانت كفارة له، وقد روي أيضا أنها تقال في آخر الوضوء بعد أن يقال: (**أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين**). وهذا الذكر يتضمن التوحيد والاستغفار..." "مجموع الفتاوى" (١٠/ ٢٦٢).

▪ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فالعبد دائما بين نعمة من الله يحتاج فيها إلى شكر، وذنب منه يحتاج فيه إلى استغفار، وكل من هذين من الأمور اللازمة للعبد دائمًا، فإنه لا يزال يتقلب في نعم الله وآلائه، ولا يزال

محتاجًا إلى التوبة والاستغفار.

ولهذا شرع الاستغفار في خواتيم الأعمال: قال تعالى: ﴿وَٱلۡمُسۡتَغۡفِرِينَ بِٱلۡأَسۡحَارِ ١٧﴾ [آل عمران: ١٧]؛ قال بعضهم: أحيوا الليل بالصلاة فلما كان وقت السحر أمروا بالاستغفار، وفي الصحيح أنّ النبي ﷺ كان إذا انصرف من صلاته قال:(**استغفر ثلاثا**)، وقال: (**اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت يا ذا الجلال والإكرام**). وقال تعالى: ﴿فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٩﴾ [البقرة: ١٩٨، ١٩٩]، ولهذا كان قوام الدين بالتوحيد والاستغفار، كما قال الله تعالى: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۚ إِنَّنِي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ ٢ وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ

إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ [هود:١-٣]، وقال تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ ﴾ [فصلت: ٦]، وقال تعالى: ﴿ فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ ﴾ [محمد: ١٩]، ولهذا جاء في الحديث: (**يقول الشيطان: أهلكت الناس بالذنوب، وأهلكوني بلا إله إلا الله والاستغفار**)، وقال يونس: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧]؛ وكان النبي ﷺ إذا ركب دابته يحمد الله، ثم يكبر ثلاثا، ويقول: (**لا إله إلا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي**)؛ وكفارة المجلس التي كان يختتم بها المجلس والوضوء: (**سبحانك الله وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك**)". (التحفة العراقية: ١ / ٧٩، ٨٠).

فوائد وفرائد ودرر من كتاب (كلمة الإخلاص) للإمام العلاّمة الربّاني ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ

فهذه مجموعة فوائد ودرر من كتاب: (كلمة الإخلاص وتحقيق معناها) للإمام الحافظ الواعظ شيخ الإسلام أبي الفرج عبد الرحمن ابن أحمد ابن رجب الحنبلي - رحمه الله رحمة واسعة وغفر له -، فيها مواعظ وفرائد طيبة في الإخلاص وتحقيقه ونبْذ الهوى والشهوات.

- مما جاء في كتابه قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فيا هَذَا كُنْ عَبد الله لَا عَبد الهَوى، فَإِنَ الهَوى يَهْوِي بِصَاحِبِهِ فِي النَّار: (أَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ)!

تَعِسَ عَبدُ الدِرْهَم!

تَعِسَ عَبدُ الدِينَار!

والله لَا يَنجُو غَدَاً مِن عَذَابِ الله إلا مَن حَقَّق عُبُودِيّة الله وَحده ولم يَلتفِت إلى شَيء مِن الأغْيَار مَن عَلِم أنّ مَعبُودَه الله فَرد فَليُفرِده بِالعُبُودِيّة (**وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا**)."

"كلمة الإخلاص وتحقيق معناها" (ص٢٨).

ومن تمام محبته محبة ما يحبه، وكراهة ما يكرهه، فمن أحب شيئًا مما يكره الله، أو كره شيئًا مما يحبه الله، لم يكمل توحيده، ولا صدَّقه في قوله "لا إله إلا الله"، وكان فيه من الشرك الخفي بحسب ما كرهه مما يحبه الله، وما أحبه مما يكرهه. قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٢٨ ﴾ [محمد: ٢٨].

"كلمة الإخلاص" (ص٢٩).

هَذِه حَال السَحَرة لمّا سَكنَت المَحَبّة قُلُوبَهُم سَمَحُوا بِبَذْل النُّفُوس وقَالُوا لِفِرْعَون: اقْضِ مَا أنْت قَاضٍ !.

ومتى تمكنت المَحَبة فِي القلب لَم تَنبَعِث الجَوارِح إلاّ إلى طَاعَة الرَّب وهذَا هُو مَعْنَى الحديث الإلهي الذي خرَّجه البخاري في "صحيحه" وفيه: **(وَلا يَزَال عَبدي يَتَقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه فإذا أحببته كُنت سَمعَه الذي يَسْمَع بِه وَبَصَرَه الذي يُبصِر بِه ، وَيَده التي يَبطش بِهما ورجله التي يَمشي بها)**.

وقَد قِيل: إنّ في بعض الروايات: "**فبي يَسمع، وبي يُبصر، وبي يبطش، وبي يمشي**" والمعنى: أنَّ مَحَبَّة الله إذا اسْتَغْرق بِها القَلب واستَولَت عَلَيه لَم تنبَعِث الجَوَارِح إلا إلى مَرَاضي الرب، وصَارَت النفس حينئذٍ مُطمئنَّة بإرَادة

مُولاهَا عَن مُرَادِها وهَوَاها.

يَا هَذا اعبد الله لمُرَادِه مِنك لا لِمُرادِك مِنه، فَمن عَبَده لِمُرادِه مِنه فهو ممن يعبد الله على حَرف، إن أصَابَه خير اطمأن بِه وإن أصَابته فِتنَة انقَلب على وَجهه خَسِر الدُّنيا والآخرة ومتى قَويت المعرفة والمحبة لم يُرد صاحبُها إلا ما يريد مَولاه. "كلمة الإخلاص" (ص٣٥).

روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن الحسن قال: "ما نَظرت بِبَصَري، ولا نَطَقت بِلساني، ولا بَطَشت بيدي، ولا نَهَضت على قَدمي، حتى أنظر عَلى طَاعة الله أو على معصِيَته، فإن كانت طاعة تَقدمتُ وإن كانت معصية تأخرت"[١].

(١) قال العلامة المحدث الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ على الحديث: المسند (ج٤/ ٨٧) ورجاله ثقات لكن فيه عنعنة الحسن البصري ومن

هذا حَال خَوَاصِّ المُحبّين الصَادِقِين فَافْهموا رَحمكم الله هذا ، فَإنه: مِن دَقائق أسْرَار التوحيد الغَامِضَة. "كلمة الإخلاص" (ص٣٦).

فمتى كان القلب فيه غير الله فالله أغنى الأغنياء عن الشرك وهو لا يرضى بمزاحمة أصنام الهوى... الحق غيور يغار على عبده المؤمن أن يسكن في قلبه سواه أو يكنَّ فيه شيء ما يرضاه. "كلمة الإخلاص" (ص٣٨).

- لا ينجو غداً إلا من لقي الله بقلب سليم ليس فيه سواه قال الله تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الشعراء: ٨٨ -٨٩].

القلب السليم: هو الطاهر من أدناس المخالفات، فأما

طريقه ابن حبان (٢٤٥٥).

المتلطخ بشيء من المكروهات فلا يصلح لمجاورة حضرة القدوس إلا بعد أن يطهر في كير العذاب، فإذا زال عنه الخبث صلح حينئذٍ للمجاورة. "كلمة الإخلاص" (ص٣٨).

▪ من لم يُحْرِقْ قلبَه بنار الأسف على ما سلف أو بنار الشوق إلى لقاء الحبيب فنار جهنم له أشد حرّاً.

▪ ما يحتاج إلى التطهر بنار جهنم إلا من لم يُكْمل تحقيق التوحيد والقيام بحقوقه. "كلمة الإخلاص" (ص٣٩).

▪ أول من تسعر به النار من الموحدين العباد المراؤون بأعمالهم، وأولهم العالم والمجاهد والمتصدق للرياء لأن يسير الرياء شرك.

▪ ما نظر المرائي إلى الخلق بعمله إلا لجهله بعظمة الخالق.

▪ المرائي يزوّر التوقيع على اسم الملك ليأخذ البراطيل (الرشوة) لنفسه، ويوهم أنه من خاصة الملك وهو ما يعرف الملك بالكلية.

▪ نقش المرائي على الدرهم الزائف اسم الملك ليروج والبهرج (الباطل) لا يجوز إلا على غير الناقد.

▪ وبعد أهل الرياء يدخل النار أصحاب الشهوة وعبيد الهوى الذين أطاعوا هواهم وعصوا مولاهم.

▪ فأما عبيد الله حقًا فيقال لهم: ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾ ﴾. [الفجر: ٢٧-٣٠]. "كلمة الإخلاص وتحقيق معناها" (ص٤٠).

▪ جهنم تنطفئ بنور إيمان الموحدين. "كلمة الإخلاص" (ص٤٠).

▪ فأما من دخل النار من أهل هذه الكلمة فلقلة صدقه في قولها، فإن هذه الكلمة إذا صدقت طهَّرت القلب من كل ما سوى الله، ومتى بقي في القلب أثر سوى الله فمن قلة الصدق في قولها.

▪ من صدق في قول: لا إله إلا الله لم يحبّ سواه، ولم يرج سواه، ولم يخشَ أحداً إلا الله، ولم يتوكل إلا على الله، ولم يُبق له بقية من آثار نفسه وهواه، ومع هذا فلا تظنوا أنّ المحب مطالب بالعصمة، وإنما هو مطالب كلما زَلَّ أن يتلافى تلك الوصمة. "كلمة الإخلاص" (ص٤٤- ٤٥).

▪ قال زيد بن أسلم: إن الله ليحبُ العبدَ حتى يبلغ من

حبه له أن يقول: اذهب فاعمل ما شئت فقد غفرت لك.

▪ وقال الشعبي: إذا أحب الله عبداً لم يضره ذنب.

وتفسير هذا الكلام أن الله عَزَّوَجَلَّ له عناية بمن يحبه، فكلما زلق ذلك العبد في هوة الهوى، أخذ بيده إلى نجوة النجاة، ييسر له التوبة وينبهه على قبح الزلة، فيفزع إلى الاعتذار ويبتليه بمصائب مكفّرة لما جنى. "كلمة الإخلاص" (ص٤٥- ٤٦).

▪ عن عبد الله بن مغفل أنّ رجلاً لقي امرأة كانت بغيًّا في الجاهلية، فجعل يلاعبها حتى بسط يده إليها فقالت: مه.. فإن الله قد أذهب الشرك وجاء بالإسلام فتركها وولّى فجعل يلتفت خلفه ينظر إليها حتى أصاب الحائط وجهه فأخبر النبي ﷺ بالأمر فقال: (**أنت عبد أراد الله بك خيراً**).

ثم قال: (إن الله إذا أراد بعبده شراً أمسك ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة).

يا قوم!

- قلوبكم على أصل الطهارة، وإنما أصابها رشاش من نجاسة الذنوب، فَرُشّوا عليها قليلاً من دموع العيون وقد طهرت.
- اعزموا على فِطام النفوس عن رَضاع الهوى فالحمية رأس الدواء.
- متى طالَبتكم بمألوفاتها فقولوا مقالة تلك المرأة لذلك الرجل الذي دمي وجهه: أذهب الله الشرك وجاء بالإسلام، والإسلام يقتضي الاستسلام والانقياد للطاعة.
- ذكِّروها مدحةَ ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ ﴾

تحِنُّ إلى الاستقامة.

▪ عرِّفوها اطلاعَ من هو أقرب إليها من حبل الوريد لعلها تستحي من قربه ونظره: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ ﴾ ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ۝١٤ ﴾. "كلمة الإخلاص" (ص٤٧- ٤٨- ٤٩).

سئل الجنيد: بم يُستعان على غضِّ البصر؟ قال: بعلمك أنَّ نَظَرَ الله إليك أسبقُ من نظرك إليه.

قال المحاسبي: المراقبة: علم القلب بقرب الربّ... كلما قويت المعرفة بالله قوي الحياء من قربه ونظره.

كان بعضهم يقول لي: منذ أربعين سنة ما خطوت لغير الله ولا نظرت إلى شيء أستحسنه حياءً من الله عَزَّوَجَلَّ. "كلمة الإخلاص" (ص٤٩ –٥٠).

فضائل كلمة التوحيد: لا إله إلا الله

▪ قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "فضائلُ هذهِ الكلمةِ وحقائِقُهَا وموقِعُها من الدِّينِ فوقَ مَا يصفُهُ الواصِفُونَ ويعرِفُهُ العارفُونَ؛ وهِيَ حَقِيقَةُ الأَمرِ كُلِّهِ؛ كما قالَ تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]".

"مجموع الفتاوى" (٢/ ٢٥٦).

كما بدأنا الكلام في هذه الرسالة عن عظم فضل التوحيد نختمه أيضًا بفضائل كلمة التوحيد؛ فالمؤمن الموحّد الموفّق بداية وأساس عمله على التّوحيد، وحياته وخاتمة عمله وعمره على التّوحيد.. جعلنا الله من عبيده الذين

حقّقوا التّوحيد علماً وعملاً، في الحياة وعند الممات..

ولندع الكلام للعلامة الإمام الرباني ابن رجب الحنبلي رحمه الله، وننقل فصلاً من كتابه العظيم **(كلمة الإخلاص)** حيث ذكر ما يقارب الثلاثين فضيلة من فضائل كلمة التوحيد، قال – رحمه الله ونفعنا الله بعلمه –:

فصل: في فضائل لا إله إلا الله.

وكلمةُ التوحيدِ لها فضائلُ عظيمة لا يمكنُ هاهنا استقصاؤُها، فلنذكر بعضَ ما وردَ فِيها:

- فهي كلمة التقوى كما قال عمر رضي الله عنه وغيره من الصحابة.
- كلمةُ الإخلاصِ.
- وشهادة الحقِّ.
- ودعوةُ الحقِّ.

- وبراءةٌ من الشركِ، ونجاةُ هذا الأمر.
- ولأجلِهَا خُلِقِ الخلقُ، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ ﴾. [الذاريات: ٥٦].
- ولأجلِهَا أرسلتِ الرُّسلُ وأنزلتِ الكتب، كما قالَ تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ۝٢٥ ﴾ [الأنبياء: ٢٥]. وقالَ تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢ ﴾ [النحل: ٢].

ونحو هذه الآياتِ..

وهذه الآية أولُ ما عدَّدَ اللهُ من النعم في سورةِ النحل التي تُسمَّى سورة النعم. ولهذا قال ابنُ عيينةَ: ما أنعمَ اللهُ على عبدٍ من العبادِ نعمةً أعظمُ من أن عرَّفهم "لا إلهَ إلا اللهُ". وأنَّ "لا إلهَ إلا الله " لأهلِ الجنةِ كالماءِ الباردِ لأهلِ الدنيا.

- ولأجلِهَا أُعدَّتْ دارُ الثوابِ ودارُ العقابِ.
- ولأجلِهَا أُمرتِ الرسلُ بالجهادِ، فمنْ قالَها عصمَ مالَه ودمَه، ومن أباها فمالُه ودمُه هدر.
- مفتاحُ الجنةِ.
- ومفتاحُ دعوةِ الرسلِ.
- وبها كلَّمَ اللهُ موسى كِفاحًا.

وفي "مسندِ البزار" وغيره عن عياضِ الأنصاريِّ عن النبيِّ ﷺ قال: (**إن لا إلهَ إلا اللَّهُ كلمةٌ حق على اللهِ كريمة ولها من اللهِ مكان وهي كلمة من قالَها صادِقًا أدخلَهُ اللَّهُ بها الجنةَ، ومن قالَها كاذبًا حقنتْ دمَهُ، وأحرزتْ مالَه، ولَقِي اللهَ غدًا فحاسَبَهُ**)[1].

(١) في سنده ضعف..

▪ وهي مِفتاحُ الجنةِ كما تقدم.

▪ وهي: ثمنُ الجنةِ: قاله الحسنُ، وجاءَ مرفوعًا من وجوه ضعيفة: (**ومن كانتْ آخرَ كَلامه دخلَ الجنةَ**)(١).

▪ وهي: نجاة من النارِ: وسمع النبيُّ ﷺ مؤذنًا يقولُ: أشهد أن لا إلهَ إلا اللهُ، فقال: (**خرج من النارِ**). خرَّجه مسلم.

▪ وهي: توجبُ المغفرةَ: في "المسندِ" عن شدَّادِ بن أوس وعبادةَ بنِ الصامتِ: أنّ النبيَّ ﷺ قال لأصحابهِ يومًا: (**ارفعُوا أيدِيكم وقولُوا: لا إلهَ إلا اللهُ**). فرفعنا أيدينا ساعةً،

---

(١) قلت: بل هو حديث صحيح جاء من وجوه بعضها حسن، وهو مخرج في (المشكاة ١٦٢١) و(أحكام الجنائز ٣٤) و(إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل ٦٧٩).

ثم وضعَ رسولُ اللهِ ﷺ يدَهُ، ثم قالَ: (**الحمدُ للهِ، اللهُمَّ بعَثْتَنِي بهذهِ الكلمةِ، وأمرْتَني بها، ووعدتنِي بها الجنةَ، وإنَّك لا تخلفُ الميعادَ**)،ثم قالَ:(**أبشِرُوا فإن اللهَ قدْ غفَرَلكُم**)[1].

▪ وهي: أحسنُ الحسناتِ: قال أبو ذرٍّ: قلتُ يا رسولَ الله:كلِّمْني بعمل يقربني من الجنةِ، ويباعدُني من النارِ، قالَ: (**إذا عملتَ سيئة فاعملْ حسنةَ، فإنها عشرُ أمثالِها**.

قلتُ: يا رسولَ اللهِ، "لا إله إلا الله "من الحسناتِ؟

قالَ:"**هيَ أحسنُ الحسناتِ**")[2].

---

(١) (المسند ٤/ ١٢٤) وفي سنده ضعف، وحسنه المنذري.

(٢) (أخرجه أحمد ٥/ ١٦٩) عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «إذا عملت سيئة فأتبعها حسنة تمحها، قال: قلت...»

▪ وهي: تمحو الذنوبَ والخطايا: وفي "سننِ ابنِ ماجه" عن أُمِّ هانئ عن النبيِّ ﷺ قال: (**لا إلـهَ إلا اللهُ لا تتـركُ ذنبًا، ولا يسبقُها عملٌ**)[1].

رُئِي بعضُ السلفِ بعدَ موتِهِ في المنامِ فسُئِلَ عن حالِهِ، فقالَ: ما أبقتْ لا إلهَ إلا اللهُ شيئًا.

▪ وهي: تجدد ما درسَ من الإيمانِ في القلبِ: وفي "المسند"[2] أنّ النبيَّ ﷺ قالَ لأصحابِهِ: (**جدِّدوا إيمانَكم**).

الحديث. وسنده حسن، ورواه البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٨٢) ولفظه أقرب.

(١) في سند ابن ماجه (٣٧٩٧) زكريا بن منظور: ضعيف.

(٢) (٣/ ٣٥٩) وصححه الحاكم وضعفه الذهبي فأصاب. وقد أخرجته في (سلسلة الأحاديث الضعيفة ٩٠٠).

قالوا: كيفَ نجدِّدُ إيمانَنَا؟

قـال: (**قولُـوا: لا إلـه إلا الله، وهـي لا يعـدِلُها شـيءٌ في الوزنِ، فلو وُزِنتْ بالسماواتِ والأرضِ رجحْت بهن**).

كما في "المسندِ" عن عبدِ اللهِ بـنِ عمـرٍو عـن النبـيِّ ﷺ: (**أنّ نوحًا قـالَ لابنِهِ عندَ موتِـهِ: آمـرُكَ بـلا إلـهَ إلا اللَّـهُ، فـإنَّ السـماواتِ السـبعَ والأرضـينَ السـبعَ لـو وُضـعِتْ في كِفـة ووضِعَتْ لا إلهَ إلا اللَّهُ في كفةٍ، رجحتْ بهن لا إلـهَ إلا اللَّـهُ، ولـو أن السـماوات السـبعَ والأرضـينَ السـبعَ كـن في حلقـةٍ مبهمةٍ قصَمتهُن لا إلهَ إلا الله**)[1].

وفيـه أيضًـا عـن عبـدِ اللهِ بـن عمـرٍو عـن النبـي ﷺ: (**أن موسى عليه السلام قالَ: يا ربّ علِّمني شيئًا أذكـرُك وأدعـوكَ بـه،**

(١) (ج ٢/ ١٧٠/ ٢٢٥) بسند صحيح..

قال: يا موسى قلْ: لا إله إلا الله. قالَ: يا ربِّ: كلُّ عبادِكَ يقولون هذا. قال: قل: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا أنت يا ربِّ. إنما أريد شيئا تخصُّنِي به. قال: يا مُوسى، لو أنَّ السماوات السبعَ وعامرَهنَّ غيري والأرضينَ السبعَ في كفةٍ، ولا إلهَ إلا اللَّهُ في كفةٍ، مالتْ بهن لا إله إلا الله)[1].

وكذلك ترجحُ بصحائفِ الذنوب، كما في حديثِ السجلاتِ والبطاقةِ. وقد خرَّجهُ أحمدُ والنسائيُّ والترمذيُّ

(١) يعني (المسند)، وعزوه إليه خطأ، كما أن عزوه إلى حديث عبد الله بن عمرو خطأ، وإنما هو من حديث أبي سعيد الخدري كما في الحاكم (١/ ٥٢٨) وغيره = بسند ضعيف. وانظر (الترغيب ٢/ ٢٣٨) (المجمع ١٠/ ٨٣) و(الجامع الكبير ٢/ ٩١/ ١).

أيضًا من حديثِ عبدِ اللهِ بن عمرٍو عن النبيِّ ﷺ [١].

- وهي: التي تخرقُ الحجبَ حتَّى تصلَ إلى اللهِ عَزَّوَجَلَّ.

وفي الترمذي عن عبدِ اللهِ بن عمرو عن النبيِّ ﷺ قال: **(لا إله إلا اللهُ ليسَ لها دونَ اللهِ حجابٌ حتى تصلَ إليهِ)** [٢].

وفيه أيضًا عن أبي هريرةَ عن النبي ﷺ **(ما قالَ عبدٌ: لا إله إلا الله مخلصًا إلا فُتحتْ له أبوابُ السماءِ حتى تُفضِي إلى العرشِ ما اجتُنِبَتِ الكبائرُ)** [٣].

---

(١) قلت: وحسنه الترمذي وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا، وفي مخطوطات المكتبة الظاهرية (جزء البطاقة) من رواية السلفي.

(٢) وقال: ليس إسناده بالقوي.

(٣) أي (الترمذي ٢/ ٢٧٩) وقال: حديث حسن. قلت: وإسناده حسن.

ويروى عن ابنِ عباسٍ مرفوعًا: (**ما منْ شيء إلا بينه وبينَ اللهِ حجابٌ، إلا قولَ: لا إلهَ إلاّ الله كما أنَّ شَفتَيكَ لا تحجبُهما كذلكَ لا يحجِبُها شيء حتى تنتهي إلى اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ)[(١)]. وقال أبو أمامةَ: ما مِن عبدٍ يهلِّلُ تهليلةً فينهنهها شيء دون العرشِ.

▪ وهي الَّتي ينظرُ اللَهُ إلى قائِلِها، ويجيبُ دعاه: خرَّجَ النسائيُّ في كتابِ "اليومِ والليلةِ" من حديثِ رجلينِ من الصحابة عن النبيِّ ﷺ: (**من قال: لا إلهَ إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، له الملكُ وله الحمدُ، وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ، مخلِصًا بها روحُه مصدِّقًا بها لسانُه، إلا فَتَقَ له السماءَ فتقًا، حتَى ينظرَ إلى قائِلِها مِنْ أهلِ الأرضِ، وحُقَّ لعبدٍ نظرَ إليهِ**

(١) لم أجده حتى ولا في (الجامع الكبير).

أن يعطِيَهُ سؤلَهُ)[١].

▪ وهي: الكلمةُ الَّتي يصدِّقُ اللَـهُ قائِلَهَا: كما أخرجَ النسائيُّ والترمذيُّ[٢] وابنُ حبان من حديثِ أبي هريرةَ وأبي سعيدٍ عن النبيِّ ﷺ قال: **(إذا قالَ العبدُ: لا إلهَ إلاّ اللهُ واللهُ أكبرُ، صدَّقهُ ربُه وقالَ: لا إلهَ إلاّ أنا وأنا أكبرُ. وإذا قالَ: لا إلَه إلا اللَـهُ وحدَهُ، لا شريكَ لهُ، يقولُ اللهُ: لا إلهَ إلا أنا وحدِي لا شريكَ لي. وإذا قالَ: لا إلهَ إلا اللَـهُ وحدَه، لا**

---

(١) عزاه في (الجامع الكبير ٢/ ٤٧٧/ ١) للحكيم عن يعقوب ابن عاصم قال: حدثني رجلان من الصحابة، ويعقوب هذا من رجال مسلم ووافقه ابن حبان، فإن كان السند إليه صحيحاً فالحديث ثابت.

(٢) وحسنه، وفيه أبو إسحاق وهو السبيعي وكان اختلط. ثم وجدت له متابعاً، فخرجته في (الصحيحة ١٣٩٠).

شريكَ له، له الملكُ وله الحمدُ، قال اللهُ: لا إلـهَ إلا أنـا، لـي الملكُ، ولي الحمدُ. وإذا قالَ: لا إلـهَ إلا اللهُ، ولا حـولَ ولا قـوةَ إلا بـاللهِ، قـالَ اللهُ: لا إلـهَ إلا أنـا، ولا حـولَ ولا قـوةَ إلا بِي). وكان يقولُ: (**من قالها – في مرضِهِ ثم مـاتَ لـم تَطعمـهُ النارُ**).

▪ وهي: أفضلُ ما قاله النبيّونَ: كما وردَ ذلكَ في دعاءِ يومِ عرفة.

▪ وهـي: أفضـلُ الـذِّكرِ: كمـا في حـديثِ جـابرٍ المرفـوع: (**أفضلُ الذكرِ لا إلهَ إلا اللَهُ**)[1].

وعن ابـنِ عبـاسٍ: أحـبُّ كلمـةٍ إلـى اللهِ لا إلـهَ إلا الله، لا

---

(١) وكلاهما حسن كما بينته في (الصحيحة ١٥٠٣- ١٤٩٧) والثاني في (المشكاة ٢٣٠٦).

يقبلُ اللهُ عملاً إلاّ بِها.

▪ وهي: أفضلُ الأعمالِ وأكثرُها تضعيفًا، وتعدلُ عتقَ الرقابِ، وتكونُ حِرزًا من الشيطانِ: وكما في "الصحيحينِ" عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (**من قالَ: لا إله إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، له الملكُ وله الحمدُ وهوَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ في يومٍ مائةَ مرةٍ كانتْ له عدلَ عشرِ رقابٍ، وكُتبَ له مائةُ حسنةٍ، ومُحيَ عنه مائةُ سيئةٍ، ولم يأتِ أحدٌ بأفضلَ مما جاءَ بهِ، إلا أحدٌ عملَ أكثرَ من ذلكَ**).

وفيهما أيضًا عن أبي أيوبٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: (**من قالَها عشرَ مراتٍ كانَ كمن أعتقَ أربعَ أنفسٍ من وَلَدِ إسماعيلَ**).

وفي الترمذي [(١)] عن ابنِ عمرَ مرفوعًا: (**من قالها إذا دخل السوقَ، وزادَ فيها: يُحيي ويميتُ وهوَ حيٌّ لا يموتُ بيدِهِ الخيرُ وهوَ على كل شيء قديرٌ، كتبَ اللهُ له ألفَ ألفَ حسنةٍ، ومحا اللهُ عنه ألفَ ألفَ سيئةٍ، ورفعَ اللهُ له ألفَ ألفَ درجة**).

وفي روايةٍ: (**ويبنى له بيتٌ في الجنةِ**).

- ومن فضائِلِها: أنها أمانٌ من وحشةِ القبرِ وهولِ الحشرِ: كما في "المسندِ" [(٢)] وغيره عن النبيِّ ﷺ قالَ: (**ليس على**

(١) وضعفه بقوله: حديث غريب. وهو كما قال. لكن له طرق يرتقي بها إلى مرتبة الحسن كما بينته في (تخريج أحاديث الكلم الطيب ٢٢٩) (الترغيب ٣/ ٥).

(٢) هذا وهم، فليس هو في مسند أحمد، وإنما رواه ابن أبي الدنيا

أهلِ لا إلهَ إلا اللهُ وحشة في قبورهم ولا في نشورِهم، وكأني بأهلِ لا إلهَ إلا اللَهُ قد قامُوا ينفضونَ الترابَ عن رؤوسِهم، ويقولونَ: الحَمْد لله الَّذي أذهبَ عنَّا الحزنُ).

وفي حديثٍ مرسلٍ: (**من قالَ: لا إلهَ إلا اللهُ الملكُ الحق المبينُ، كل يومٍ مائةَ مرةٍ كانتْ له أمانًا من الفقرِ، وأنسًا من وحشةِ القبرِ، واستجلبتْ له الغِنى، واستقرعت له بابَ الجنةِ**).

▪ وهي: شعارُ المؤمنينَ إذا قامُوا من قبورِهم: قال النضرُ بنُ عربي: بلغَنِي أنّ الناسَ إذا قامُوا من قبورِهِم كانَ شعارُهم: لا إلَه إلا اللهُ.

وابن عدي وغيرهما بإسناد واهٍ جداً، واستنكره المنذري. ثم خرجته في (الضعيفة ٣٨٥٣).

وقد خرج الطبرانيُّ حديثًا مرفوعًا: **(إن شعارَ هذه الأمةِ على الصراطِ: لا إلهَ إلا أنتَ)**[1].

▪ ومن فضائلها: أنَّها تفتحُ لقائِلِها أبوابَ الجنةِ الثمانيةَ، يدخلُ من أيِّها شاء. كما في حديث عمرَ عن النبيِّ ﷺ فيمَنْ أتَى بالشهادتينِ بعد الوضوء، وقد خرَّجهُ مسلمٌ.

وفي "الصحيحينِ" عن عبادةَ بن الصامتِ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **(من قالَ: أشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له، وأن محمدًا عبدُه ورسولُه، وأنَّ عيسى عبدُ اللهِ ورسوله وكلمتُه ألقَاها إلى مريمَ وروحٌ منه، وأنَّ الجنةَ حق والنارَ حق أدخلَهُ اللهُ من أيِّ أبوابِ الجنَّةِ الثمانيةِ شاء")**.

---

(١) من حديث ابن عمرو بإسناد ضعيف ورواه العقيلي أيضًا في (الضعفاء).

وفي حديثِ عبد الرحمنِ بنِ سمرةَ عن النَّبيِّ ﷺ في قصة منامه الطويل، وفيه قالَ: (**ورأيتُ رجلاً من أُمَّتِي انتهى إلى أبوابِ الجنةِ، فأُغلقت الأَبوابُ دونَهَ. فجاءتْه شهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، فتحتْ له الأبوابَ، وأدخلتْهُ الجنةَ**)[1].

▪ ومن فضائلها أنَّ أهلَها وإن دخلُوا النارَ وبتقصيرِهم في حقوقِها فإنهم لابد أن يخرجُوا منها. وفي "الصحيحينِ" عن أنسٍ عن النبيِّ ﷺ قالَ: (**يقولُ اللهُ ﷻ: وعِزَّتي وجلالِي وكبريائِي وعظمتِي لأُخرجنَّ منها منْ قالَ: لا إله إلا اللهُ**). وأخرجَ الطبراني عن أنس عن النبيِّ ﷺ قالَ: (**إنّ**

(١) رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي، وكلاهما ضعيف كما في (المجمع ٧/ ١٨٠).

ناسًا منْ أهلِ لا إلهَ إلا اللهُ يدخلونَ النارَ بذنوبهم، فيقولُ لهم عبدةُ اللات والعزَّى: ما أغنى عنكُم قولُ: لا إله إلا الله، فيغضبُ اللهُ لهم فيخرِجُهُم من النارِ، فيدخلونَ الجنةَ)[1].

ومن كان في سخطه يُحسنُ.. فكيفَ يكونُ إذا ما رضي؟

لا يُسوَّى بين من وحَّده وإن قصَّر في حقوقِ توحيدهِ، وبينَ من أشركَ به.

قال بعضُ السلفِ: كان إبراهيمُ عليه السلام يقولُ: اللهمَّ لا تشرك من كان يشركُ بكَ شيئًا بمن كانَ لا يشركُ بكَ.

كان بعضُ السلفِ يقولُ في دعائِه: اللهمَّ إنَّك قلتَ عن أهلِ النارِ: إنَّهم أقسمُوا باللهِ جهدَ أيمانِهم لا يبعثُ الله من يموتُ، ونحنُ نقسمُ باللهِ جَهدَ أيمانِنا ليبعثَنَّ اللهُ من يموتُ،

(١) لم أعثر عليه ولا في (الجامع الكبير).

اللهمَّ لا تجمع بينَ أهلِ القَسَمَينِ في دارٍ واحدةٍ.

كان أبو سليمانَ يقولُ: إن طالَبنِي ببخلِي طالبتُه بجودِهِ، وإن طالَبني بذنوبي طالبتُه بعفوِه، وإن أدخلَنِي النارَ أخبرتُ أهلَ النارِ أنِّي أُحبُّه.

ما أطيبَ وصلَه وما أعذبَه!.. وما أثقلَ هجرَه وما أصَعبَه!

وفي السخطِ والرِّضى ما أهيبَه!.. القلبُ يحبُّ وإنْ عذبه

وكان بعضُ العارفينَ يبكِي طولَ ليلهِ ويقولُ: إن تعذِّبني فإنِّي لك محبٌّ، وإن ترحمْني فإني لك محبٌّ.

العارفونَ يخافونَ من الحجابِ أكثرَ مما يخافونَ من العذابِ.

قال ذو النونِ: خوفُ النارِ عند خوفِ الفراقِ كقطرةٍ في

بحرٍ لُجي.

كان بعضُهم يقولُ: إلهِي وسيدِي ومولاي! لو أنَّك عذبْتنِي بعذابِكَ كلِّه، كانَ ما فاتَني من قربِكَ أعظمُ عنْدِي من العذابِ.

قيلَ لبعضِهم: لو طردكَ ما كنتَ تفعلُ.

قالَ:

إِذَا أنا لم أجْد من الحبِّ وصْلاً
رمتُ في النارِ مُنْزلا ومقِيلا
ثم أزعجتُ أهلَهَا بندَائِي
بكرةً في عرصَاتِها وأصِيلا
معشرَ المشركينَ ناحُوا على منْ
يدِّعِي أنَّه يحبُّ الجليلا

لــــم يكـــنْ في الـــذي ادعـــاه محقًّـــا

فجـــــزاهُ بـــــه العـــــذابَ الطَّـــوِيلا!

إخوانِي!

اجتهـدُوا اليـومَ في تحقيـقِ التوحيـدِ، فإنَّـه لا يُنجـي مـن عذابِ اللهِ إلا إيَّاه.

ومــــا نطـــقَ النــــاطقونَ إذْ نطقُـــوا

أحســــــنَ مـــــن لا إلـــــهَ إلا الله

تبـــــاركَ اللهُ ذو الجـــــلالِ ومــــنْ

أشـــــــهدُ أن لا إِلـــــهَ إلا هُــــــو

مَـــن لــــذنوبِي ومـــنْ يمحِّصُـــها

غيــرُك يَــا مــنْ لا إِلـــهَ إلا هُـــو

جنانـــــد خلـــدٍ لمـــــنْ يوحــــدُه

أشـــــهدُ أن لا إلــــــهَ إلا هُــــــو

نيرانُـــــه لا تحـــــرقُ مـــــنْ

يشـــــهدُ أن لا إلــــــهَ إلا هُــــــو

أقولُهـــا مخلِصًـــا بِـــلا بُخـــلٍ

أشـــــهدُ أن لا إلــــــهَ إلا هُــــــو

والحمد لله رب العالمين.

(كتـاب: كلمـة الإخـلاص وتحقيـق معناهـا ٥٢-٧١)

تحقيق العلامة محدث العصر الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهرس الموضوعات

صدر للمؤلف

١ -الإصرار والاستهانة بصغائر الذنوب مهلكة.

٢ -أهمية وضرورة وأثر مجاهدة النفس والتدبر والخوف والبكاء من خشية الله في حياة وسلامة القلب.

٣ -عِظَمُ حق الجار والوصيّة به في الكتاب والسّنّة.

٤ -عِظَمُ فضائل وجليل ثواب ذكر الله عزّ وجلّ.

٥ -عِظَمُ فضلِ وأهميةِ الخشوع في الصلاة وجليلُ آثارِه وثمارِه.

٦ -عظمةُ وحُرمةُ الأشهُر الحُرُم.

٧ -كلماتٌ نيِّرات فِي فضل وأهميةِ العلم وضرورة العمل به.

٨ -"لا إله إلا الله" أفضل وأعظم الحسنات التي تُذهب وتمحو السيئات.

٩ -الشّرك بالله يهدّد ويهدم الأعمال والأعمار ويحرم سعادة ونعيم الأبد.

صَدَرَ لِلمُؤَلِّف



ISBN 978-9931-616-48-1
9789931616481